٣- دورسيرا

تساقطت قطرات الندى من تلك الزهرة الحمراء، كانت محاطة بعديد من الزهور الأخرى المشابهة ولكنها حتما مختلفة؛ فبعض أوراقها تلون باللون الأصفر بصورة جعلتها أكثر الزهرات تميزا. كيف تشعر "كيرا" الآن؟ ماذا تفعل؟ أكان بوسعي فعل شيء ولم أقم به؟ هل هي على ما يرام؟ تزاحمت الأفكار برأسها ثم طرأت أكثرهم ألما، هل تكرهني؟!

"أمي!"

أفاقت دورسيرا من أفكارها مشيحة نظرها عن مجموعة الزهور الموجودة بمدخل شرفتها لتجد ثنسيا واقفة أمام باب غرفتها بشعر غير مصفف، تمسك بيدها ورقة مطوية وخلفها المربية، ابتسمت دورسيرا بسعادة لرؤية صغيرتها، وفتحت ذراعيها لتحتضن ثنسيا، ركضت ثنسيا ضاحكة لفراش والدتها ثم قفزت أعلاه محتضنة دورسيرا سريعا، ذلك العناق هو بحق سعادة دورسيرا الوحيدة: "أليس هذا غريبًا؟ تستيقظين مبكرا اليوم!"

ابتعدت ثنسيا وهي تجيب بحماس:

"أجل، فاليوم سنزور جدي! إني حتى لم أنم!"

تغيرت نظرة ثنسيا سريعا ونظرت أرضا إثر اكتشافها لما أفصحته لتوها أمام والدتها، فلم تبدُ دورسيرا سعيدة بما قالته ثنسيا.

"أعني لقد نمت بعض الشيء، أمي لم أسبب مشكلات حقا لقد كنت، فقط أفكر في هدية لجدي.."

"حقا؟! وماذا ستعطين جدك إذن؟!"

"إنها مفاجأة!"

عادت نبرة السعادة لكليهما وخاصة حين أردفت دورسيرا ضاحكة:

"صرت تخ"فين" عني الأمور إذن يا ثنسيا؟!"

"لا تقلقي سأريك إياها حين نذهب لجدي"

"حسنا لا بأس بذلك، لماذا لم تصففي شعرك بعد يا عزيزتي؟"

تساءلت دورسيرا ناظرة للمربية التي مازالت تقف أمام باب الغرفة:

"سموك لقد حاولت حقا، لكن الأميرة ثنسيا أصرت أن.."

"أمي أريدك أنتِ أن تصففي شعري"

قالت ثنسيا ناظرة لوالدتها ببراءة ورجاء، لم تغادر البسمة شفتي دورسيرا بل اتسعت: "بالطبع يا عزيزتي"

ثم أشارت للمربية بالانصراف، فانصاعت الأخرى لأمرها سريعا، ذهبت ثنسيا لإحضار الفرشاة لوالدتها التي شرعت في تصفيف شعر الصغيرة

"ألم أخبرك من قبل أن تطيعي المربية يا ثنسيا؟!"

مرت بضعة ثوان من الصمت حتى أجابت ثنسيا:

"أجل أمي، أعتذر، أردت فقط قضاء اليوم برفقتك منذ بدايته"

أشعرت الإجابة دورسيرا ببعض الذنب، فقامت بالتربيت على كتف ثنسيا برفق، لم ترَ دورسيرا صغيرتها لكنها شعرت بالابتسامة على وجهها.

"أمي لقد أحضرت لكِ أنتِ أيضا هدية"

"حقا ما هي؟"

أعطت ثنسيا والدتها الورقة المطوية التي كانت ممسكة بها منذ لحظة دخولها:

"هذه!"

تفحصت دورسيرا الورقة بينما أكملت ثنسيا:

"لقد رسمتها لكِ بفن الخطوط"

كانت عبارة عن رسمة تحتوي على أربع أشخاص أو هذا ما بدا لدورسيرا، لم تستطع تحديد معالمهم أو أي شيء بهم سوى أن جميعهم كانوا أشبه بالظلال، وكان أحدهم أطول منهم جميعا، بينما آخران يتقاربان في الطول والأخير هو أقصرهم، صارت ثنسيا مهووسة مؤخرا بالمدعى فن الخطوط الذي بدأ الانتشار بعض الشيء منذ التحالف مع شبه جزيرة لونا، حيث إنه نشأ في الأصل بشبه الجزيرة، لكن على الرغم من كل محاولات ثنسيا، لم تستطع الاقتراب من إتقانه، لكنها لا تتوقف عن المحاولة.

"إذن ما رأيك يا أمي؟"

تساءلت ثنسيا بابتسامة عريضة

"ما هذا؟"

"أمي، إنهم نحن، أنا.."

قالت ثنسيا مشيرة للشخص الأقصر ثم أشارت لأطولهم مكملة

"أنتِ، وهذان هما "كيرا" و"فين""

انتهت مشيرة للشخصين ذو الطول المتقارب، رفعت دورسيرا حاجبيها مظهرة الاستيعاب، ثم أومأت متصنعة الابتسامة؛ فلم ترد أن تخيب أمل ثنسيا، على الرغم من أن ما تراه أمامها ليس سوى بضعة ظلال لا ملامح لها:

"إنها رائعة يا عزيزتي"

ضحكت الصغيرة بفخر مردفة: "كنت أعلم"

- "لكن لماذا لم ترسمي والدك؟!"

تغيرت معالم ثنسيا للحيرة مجيبة: "لا أتذكر كيف يبدو"

بافتراض أن هؤلاء في الرسمة يبدون مثلهم، تساءلت دورسيرا ببعض السخرية، لكنها سرعان ما أومأت بتفهم.

"هل أنتِ سعيدة الآن يا أمي؟"

"ماذا تعنين؟!"

"أشعر بأنك حزينة مؤخرا لذلك أحضرت لك هذه الهدية، هل أسعدتك؟! أرجو أن تكون أسعدتكِ"

ابتسمت دورسيرا مقبلة جبهة صغيرتها، إن ابنتها ملاك حقا، ملاكها الصغير: "أجل يا عزيزتي لقد أسعدتني كثيرا"

استدارت ثنسيا كي تكمل والدتها تصفيف شعرها: "أمي"

"أجل يا عزيزتي"

"أنت حزينة لرحيل "كيرا" أليس كذلك؟ ولكنها ستعود أليس كذلك؟! فهي لم تذهب للسماء كوالدي، هكذا أخبرني "فين"، أم أنها ذهبت للسماء و"فين" لا يدري؟"

شعرت دورسيرا بقلبها ينقبض بقوة:

"كلا يا عزيزتي، "كيرا" بخير ولم تذهب للسماء كوالدك"

"متى ستعود يا أمي؟ لقد اشتقت لها"

"عما قريب"

"متى؟!" صاحت ثنسيا.

"لقد انتهيت من تصفيف شعرك يا ثنسيا، فلتذهبي لغرفتك الآن وترتدي فستانا جميلا، وتجلبي هدية جدك كي نذهب إليه"

"ولكنك لم تخبريني متى سأرى "كيرا"!"

أخذت ثنسيا بعدم التوقف عن الشكوى، لا تكره دورسيرا بحياتها أكثر من الشكوى التي لا قيمة لها:

"اذهبي الآن يا ثنسيا، فليس لدينا الصباح بأكمله لهذا الهراء"

صاحت دورسيرا، تلألأت الدموع بمقلتي ثنسيا وركضت لخارج الغرفة، آلم دورسيرا مظهر صغيرتها، ربما هي أمٌّ سيئة بالفعل، فكرت دورسيرا، ربما تستحق أن تكرهها ابنتها.

سارت دورسيرا عبر الردهة، حتى وصلت لغرفة ثنسيا، ثم اخفت يديها بعض الشيء بما تمسكه خلف فستانها، كان الباب مفتوحًا بالفعل، يظهر ثنسيا

وهي تجلس على فراشها ممسكة شيئا بيدها لم تلمحه دورسيرا، حيث إن المربية وقفت أمام الصغيرة.

"هل تعتقدين أنهم سيعجبون جدي؟"

"بالطبع أيتها الأميرة؛ فتلك الزهور في غاية الروعة"

"احم"

نظرت كلٌّ من ثنسيا والمربية لدورسيرا الواقفة أمام الباب، ثم نظرت ثنسيا للأرض سريعا، أشارت دورسيرا للمربية:

"يمكنك الانصراف"

خرجت المربية سريعا:

"هل أنت جاهزة يا ثنسيا؟"

أومأت ثنسيا وهي مازالت تنظر أرضا.

"لقد أحضرت لك شيء"

أردفت دورسيرا، حينها فحسب رفعت ثنسيا نظرها لوالدتها متسائلة بحيرة:

"حقا؟!"

"أجل؛ فقد بدوتِ حزينة وأردت أن أسعدك"

أظهرت دورسيرا الزهرة ممزوجة الألوان التي اقتطفتها من مدخل شرفتها قبيل قدومها لثنسيا، اقتربت ثنسيا من والدتها تاركة الزهور التي كانت تمسك بها على الفراش: "هل تعجبك يا عزيزتي؟"

نظرت ثنسيا للزهرة بتفكير: "إنها تبدو غريبة، تعجبني!"

انهت الصغيرة جملتها بسعادة مما أسعد دورسيرا:

"حسنا إذن، لنضعها في شعرك لتزيد جمالك"

قامت دورسيرا بوضع الزهرة برفق بين خصلات شعر ثنسيا المصفف بعناية، بدت ثنسيا رائعة الجمال بعيونها العسلية وشعرها الذهبي وابتسامتها الواسعة الملائكية:

"تبدين بديعة الجمال يا عزيزتي"

احتضنت ثنسيا قدمي والدتها سريعا، فابتسمت دورسيرا إثر ذلك ثم جرت الصغيرة لجلب الأزهار التي تركتها أعلى الفراش:

"هذه هي هدية جدي يا أمي أتعتقدين أنه سيحبها؟"

"تلك هي الهدية الغامضة؟"

تساءلت دورسيرا بنبرة ضاحكة:

"أجل لقد حرصت على أن تكون الأزهار بكلا اللونين الأحمر والأصفر؛ لأريه أننا سوف نكون دوما متحدين، هذا سيساعد في شفائه أليس كذلك؟! أليس كذلك يا أمي؟!"

نظرت دورسيرا للأزهار، كانت جميعها صفراء أو حمراء تماما، لم تكن أي منها كالزهرة الموجودة الآن بين خصلات شعر ثنسيا، شعرت دورسيرا أن جميعهم متشابهين لا يميزهم أي شيء، نظرت صوب ابنتها لتجدها مازالت منتظرة الإجابة:

"أجل يا عزيزتي، بالتأكيد ستسعده هذه الزهور فهي، مميزة بحق"

"كنت أعلم"

خرجتا من الغرفة وهما يتجهان لغرفة الجد، لم يسيرا سوى بضعة خطوات بسبب قرب غرفة ثنسيا للغاية من غرفة جدها، سمعت دورسيرا عدة أصوات بالداخل، يبدو أنه سيكون يوما طويلا، قامت بالدق على الباب ثلاث دقات متتالية كما ينص الأدب لديهم.

"أمي من يوجد بالداخل؟!"

علمت دورسيرا إجابة ذلك، لكنها فضلت الصمت فقد بدأت بالانزعاج بالفعل مما توقعت سماعه وحدوثه بالداخل، فُتح الباب لتجدا بيلا أمامهما.

"بيلا!" صاحت ثنسيا باسمة

"مرحبا ثنسيا، مرحبا عمتي" حيتهما بيلا بأدب.

"مرحبا يا عزيزتي بيلا، هل أباكِ بالداخل؟"

"أجل برفقة أعمامي"

"منذ متى؟"

"لقد ألقوا التحية على جدي لتوهم"

"لمَ أنتِ راحلة بهذه السرعة؟!"

تساءلت ثنسيا.

"لقد ألقيت التحية بالفعل يا ثنسيا، ولم أرد إزعاجهم، فربما يودون الحديث على انفراد"

"لماذا سيودون ذلك؟!" تساءلت ثنسيا مجددا

"حسنا بيلا، إنك فتاة حسنة، سنراكِ لاحقا"

أردفت دورسيرا سريعا قبل أن تجيب بيلا على أسئلة ثنسيا التي لا نهاية لها؛ فهذا التأخير الأبله يزعجها، أومأت بيلا منصرفة، بينما دخلت دورسيرا وثنسيا غرفة الملك، لشخص من العامة قد يظن أن تلك ليست غرفة بل منزلا بأكمله؛ فهي واسعة للغاية ومقسمة لأجزاء مشابهة لأجزاء المنزل بشرفة كبيرة وستائر ضخمة، لكن دورسيرا ليست من العامة؛ فقد نشأت لتظن أن هذا هو الحجم الطبيعي للغرف، لكن سنوات عمرها جعلتها تعلم بعض الأشياء، عبر الخدم، عبر الحكايات وعبر أسفارها المعدودة. لم تعتد دورسيرا دخول هذه الغرفة كثيرا في صغرها حتى حينما شبت، فقط بدأت بحفظ معالمها بعد مرض والدها، فقد صارت تطمئن عليه باستمرار: "جدي!"

صاحت ثنسيا راكضة صوب فراش جدها، سارت دورسيرا خلفها بخطوات ثابتة، لمحت حينها ثلاثة أشخاص يقفون حول الفراش، يبدو عليهم أنهم يودون الانصراف سريعا، لم تحتج لوهلة في التفكير في هويتهم؛ فهم الملقبين بإخوتها أو دومين الأرعن وميستريو المتأمل و"نايلس" البائس كما تراهم عيونها، نظر كل منهم لها سريعا على سبيل التحية أو لمحهم لمجيئها، حقا لا تهتم.

" ثنسيا، أهذا أنت يا عزيزتي لقد اشتقت لكِ"

قالها جد ثنسيا الممد أعلى الفراش بوهن، جلست ثنسيا بجانبه محتضنة إياه بشدة ثم أعطته الأزهار:

"جدي، لقد أحضرت لك بعض الأزهار، مرحبا أخوالي"

حيت ثنسيا أخوالها سريعا، ربت "نايلس" على شعرها بلطف، بينما حياها ميستريو واكتفى دومين بالابتسام، أمسك جدها الزهور بيد مرتعشة ليشمَّها في الوقت نفسه الذي جلست فيه والدتها دورسيرا على مقعد مجاور للفراش:

"إنهم رائعين يا ثنسيا"

أردف الجد بصوته الوهن

"لقد أحضرتهم بكلا اللونين الأحمر والأصفر كي تعلم أننا سنظل دوما متحدين، كي تُشفى فقد أخبرتني والدتي أن مرضك قد ازداد، وأثر على رؤيتك؛ لهذا أخبرك بألوانهم لأنك ربما لا تراهم جيدا"

ظهرت الدهشة على وجه "نايلس" الذي كان على وشك أن يحاول توجيه ثنسيا لخطئها بهدوء، بينما ابتسم ميستريو قليلا.

"ثنسيا، تأدَّبي"

صاحت دورسيرا مقاطعة كل شيء آخر، ضحك الجد بشدة لكن ضحكاته قاطعها السعال:

"لا بأس يا ابنتي دورسيرا، لا بأس"

"جدي، أنا آسفة لم أقصد.."

بدت ثنسيا شاعرة بالذنب.

"لا بأس يا ثنسيا، ولكني أرى بصورة جيدة، لقد كنت أعلم ألوان تلك الأزهار"

"كيف يا جدي؟!"

ضحك الجد مجددا مجيبا:

"من الرائحة التي تفوح منهم يا عزيزتي، ربما أصاب المرض عيني، لكنه لم يمحُ سنوات طويلة من الخبرات المختلفة"

"كيف حالك الآن يا أبي؟" تساءلت دورسيرا

"ماذا تعتقدين؟ أم هل تمت عَدْوتك من بلاهة ابنتك؟ ما هذا السؤال الأحمق؟"

"جدي ما الذي تعنيه ببلاهة ابنتك؟!"

بدت الحيرة والحزن على معالم ثنسيا.

"أووه يا عزيزتي لا أعنيك أنتِ بالطبع، كنت أعني، "كيرا""

أجابها الجد محاولا الكذب.

"أها، حسنا، لكن "كيرا" ليست بلهاء إنها مشاغبة فحسب، هذا ما تقوله المربية دوما، لكن جدي متى سأراها؟"

اللعنة! فلتصمتي فحسب يا ثنسيا، هذا هو كل ما خطر ببال دورسيرا بتلك اللحظة، خاصة بعد رؤيتها تغير ملامح وجه والدها عقب سؤال الصغيرة.

"ثنسيا أيتها الصغيرة، لما لا تذهبين لإيجاد الخادمة كي تضع تلك الزهور الجميلة في بعض الماء؟"

اقترح ميستريو سريعا، أومأت ثنسيا بسعادة، بينما لغرابة الأمر، شعرت دورسيرا ببعض الامتنان لما فعله ميستريو، لكن ثنسيا لم تسر سوى بضعة خطوات حتى أوقفها صوت جدها:

"انتظري"

استدارت له الصغيرة، بينما ترقب الإخوة الأربعة ما سيقوله والدهم لها:

"أجل جدي"

"أخبريهم أن يحضروا لي بعض الطعام، وأريدك أن تشرفي على القيام به، أيمكنك فعل ذلك لأجلي؟"

أومأت ثنسيا مبتسمة ثم غادرت، ظنت دورسيرا أن الأمر انتهى حتى تحدث والدها بصوته الوهن مجددا: "ها قد حرصت لكم ألا تعود الفتاة سريعا؛ فربما قد تنسى ما كانت على وشك قوله لي، أو من يدري ربما أنسى أنا؛ فقد تمكن المرض مني أليس هذا ما تحسبوه يا جالبي العار؟!"

رغم ضعف صوته لكن الغضب بدا جليا به.

"والدي الأمر ليس كما تظن"

حاولت دورسيرا تهدئة والدها لكنه ثار بصورة أكبر:

"اخرسي، لا أريد سماع كلمة واحدة منك، ابنتك هجينة؟! حفيدتي هجينة؟! حفيدتي أنا هجينة؟! كيف؟!"

أشاحت دورسيرا عينها بعيدا عن والدها بحنق، بينما تحدث دومين:

"والدي العزيز الأمر تحت السيطرة، ليس عليك بالقلق إطلاقا"

"اخرس!"

صاح الملك بأعلى ما أستطاع به مكملا:

"اخرسوا جميعكم، تخفون الأمور عني وتأتمرون من خلفي، أتعتقدون أني لا دراية لي بما تقومون به، بما تريدونه يا جالبي العار؟ يا جالبي الموت؟! أنتم تريدون موتي فحسب أنا أعلم جيدا، تعدون الأيام حتى تخور قواي وألفظ آخر أنفاسي، حتى مجيئكم اليوم لم يكن سوى بسبب طلب مني"

لم تدرِ دورسيرا إلى متى سيظل تصرف والدها بذلك الشكل، لم يعتد منه إخوتها سوى على ذلك، ربما هي قد ضجرت من الأمر فحسب لأنه كان ألطف في معاملتها عن باقي إخوتها قبيل مرضه، لكنها حقا لم تعد تحتمل ذلك الأسلوب في التعامل غير المبرر، أو ربما هو مبرر لكنها ترفض الاعتراف لنفسها بأسباب ما يفعله. تحدث "نايلس":

"هذا غير صحيح يا والدي نحن جميعا ندعو أن تصير على ما يرام، لقد حضرنا اليوم لرغبتنا حقا برؤيتك، حتى "أنستازيا" لو كانت تستطيع.."

استشاط والدهم غضبا دافعا كوب ماء كان يوجد على طاولة صغيرة بجواره ليسقط أرضا ويهشم تماما:

"لا تذكر ذلك الاسم أمامي مجددا أبدا! أبدا! ليس لدي سوى أربعة أبناء لا قيمة لهم، تلك الحثالة ليست ابنتي، إنها ليست سوى جالبة لعنة"

كان صوت أبيهم في ذلك الحين أعلى ما يكون، أخذ يسعل بقوة إثر ذلك:

"والدي هل أنت على ما يرام؟!"

تساءل "نايلس" ببعض القلق.

"اخرجوا، اخرجوا جميعكم يا جالبي العار، لا أريد رؤية وجوهكم"

هموا بالرحيل حينما أكمل والدهم مخاطبا دورسيرا:

"عدا أنتِ"

تبادلت دورسيرا ودومين نظرات، فهمت مغزاها، ثم رحل الإخوة الثلاث، عم الصمت قليلا ثم تحدث الملك بخيبة أمل:

"لم أحسب أن أعيش حتى اليوم الذي أراكِ فيه لا تختل "فين" كثيرا عنهم، وددت أن أموت قبل أن يصير كل أبنائي بذلك الشكل، الأرعن والضعيف والمجهول، حسبت أنك ستكونين الابنة التي أردتها، حسبت ذلك منذ وفاة أخاكِ رانل، لكن يبدو أني لم يكن لدي حقا سواه"

آلم دورسيرا سماع ذلك الاسم، لوهلة رأت أمام عينيها ما تبقى في مخيلتها من ذكراه، في الواقع لم يتبق كثيرٌ، لكنها لن تنسى أبدا تلك الابتسامة المريحة، كم مر من الزمان.

"لماذا؟! لقد أعطيتك كل شيء!" تساءل والدها بألم.

لم تدرِ بماذا تجيب، الإجابة المنطقية هي "لماذا تلومني؟! فأنا لست المسئولة عما فعلته المرايا، أنت الآن تنتحب وتزيد مرضك عوضا عن كونك تذكرني بالفاجعة التي ابنتي تعيشها الآن، ولا أملك كثيرًا من الخيارات لإزالتها، لكنك مازالت تلومني لأن ذلك هو الأمر الأسهل، أحاول جاهدة أن أحرص على أن تصير على ما يرام، أحاول جاهدة على أن أصلح حالة ابنتي، حتى إنني خالفت النواهي باللجوء للسحر لإيجاد حل، لكن في النهاية مازالت أنا الملامة بلا أدنى شك"

لكنها علمت أن تلك الإجابة لن توصلها لأي شيء، فاختارت الصمت.

"لقد خذلتني يا دورسيرا، على الرغم من كل ما فعلته بحياتي، لن يذكرني التاريخ سوى بالملك الذي لديه حفيدة هجينة، لا أصدق أنى أحببتها كما أحببت باقي أحفادي!"

عند ذلك الحين، أرادت دورسيرا الصياح فحسب، هذا ليس خطأ ابنتها! لم تفعل أي شيء! ويتحدث عنها جميع الناس بذلك الشكل المزري، أرادت دورسيرا الخروج من تلك الغرفة فحسب، لكنها تمالكت نفسها.

"لكنني لم أستطع التوقف عن حبها، كيف وهي حفيدتي؟!"

أثار ذلك تعجب دورسيرا، لكنه أشعرها ببعض الراحة، لكن سرعان ما شعرت بالألم يغزو قلبها؛ فقد تذكرت كم اشتاقت ل"كيرا"، وكم كانت الفتاة مشاغبة لكنها لم تتوقف عن حب ابنتها أبدا.

"لا يهم كل ذلك الآن، استمعي جيدا، لقد حلت بالفعل عديدٌ من المآسي لعائلتنا، موت رانل، موت والدتك، والآن موقف ابنتك، لكن لا يمكنك أن تسمحي للفاجعة الكبرى بالحدوث، أراكِ وأرى إخوتك الحمقى، وأرى ما يمكن أن تحدثوه، لكني مازالت أضع بعض أملي بك، عليك منع حدوث التفرقة، أخاك الأبله دومين ينساق خلف وساوسه التي لا تنتهي وخلف أي شيء، وأنت تعلمين أنه سيصير الملك بعد موتي لأنه أكبر إخوتك الذكور، عليك أن تحرصي ألا يفقد صوابه، عليك أن تحرصي أن تظل أراضي جوزيف و"بودير" أولاد عمك كما هي، بل يجب جعلهم الوصيين على المملكة الغربية"

صار والدها يهذي الآن، هذا كلام غير موزون؛ فذلك هو حق أخيها "نايلس"، لكنها أرادت إراحة والدها فحسب:

"بالتأكيد يا والدي"

"لا تثقي بأي منهم، ثقي بنفسك فحسب، ولا تدعي سبيلًا للتفرقة، فإن حلت التفرقة فجميعكم هالكون لا محالة! إياكِ أن تحل التفرقة!"

*****

على الرغم من كمٍّ ما يتوجب عليها فعله، إلا أنها لم تستطع تصفية ذهنها تماما مما قاله والدها مبكرا ذلك اليوم:

"لكن لا يمكنك أن تسمحي للفاجعة الكبرى بالحدوث"

"وأرى إخوتك الحمقى وأرى ما يمكن أن تحدثوه"

"لا تثقي بأي منهم، ثقي بنفسك فحسب، ولا تدعي سبيلًا للتفرقة"

توالت الأفكار بعقلها كالفيضان الجامح، على الرغم من ذلك لم تتوقف للحظة عن توقيع الأوراق أمامها، تجلس الآن مجددا بغرفتها خلف مكتب خشبي لامع، أمامها حفنة من الأوراق عليها الانتهاء منها، فإخوانها سيعقدون مجلس التشاور بخصوص ما سيئول إليه حال ابنتها "كيرا" بعد ما يقل عن الساعة، وعليها أن تحرص على أن يعرفوا جميعا مقامهم جيدا ولا يتعدوه، دق الباب ثلاث دقات متتالية.

"ادخل"

فُتح الباب ببطء مظهرا "فين" من خلفه، لم ترفع دورسيرا عينيها من كومة الأوراق أمامها، لكنها علمت هوية الطارق؛ فلن يغيب عن ذاكرتها صوت خطوات ابنها مصاحبة لنقرة عكازه المميزة:

"لقد طلبتِ مجيئي"

أردف "فين" بهدوء.

"أجل، اغلق الباب ثم اجلس"

انصاع "فين" لأمرها فأغلق الباب ثم جلس على ذلك الكرسي المجاور لمكتبها:

"لم آركَ تزور جدك اليوم"

"لماذا تسأليننني هذا السؤال الآن؟"

"من المفترض أن تزور جدك المريض"

"أجل لكن لماذا تسأليننني الآن؟"

تساءل "فين" مجددا لكن بتأكيد كلمته الأخيرة، ترى الآن ما يحاول فعله ذلك المتحذلق، يحاول إثبات أمر ما، يحاول إثبات أنها لم تسأله من قبل إذن فلابد من سبب لسؤالها الآن، لا يدري أنها حاولت الصبر من قبل لذلك لم تسأله فحسب، إذا كرس تحاذقه هذا فقط لما هو أهم ربما قد تتغير حالته تلك للأفضل، أبعدت دورسيرا عيونها عن الأوراق أمامها لوجه ابنها، لتلك الملامح المريحة، لكن لا ابتسامة تعلوها فقط الحزن الد"فين"، الإجهاد، والسواد المتزايد حول الأعين، بالطبع هو يحاول إخفاء ذلك، لكنها طالما استطاعت رؤية العيون جيدا،

ليس كما يراها أي شخص، بل بما تحمله من كلمات مخفية؛ فهي 'قارئة للعيون' كما أسمتها والدتها، لا تريد أن يصير ذلك هو حاله، لا تريد أن ينتهي به المطاف كشخص غريب لا يوجد في عينيه سوى الخواء كأخيها ميستريو، لا تريده أن يتحول لشخص بائس يرفض التقدم للأمام كأخيها "نايلس"، تريده فتى قويَّ العزيمة يتخطى عقبات حياته، بل ويسحقها فلا وقت للأسف والحزن ولا قيمة لهما.

"لقد تركت لك وقتك الكافي، تغافلت لأيام وأسابيع، لا تعتقد لوهلة أني كنت كفيفة أو بأنني أتقبل أسلوب حياتك التعس هذا، تتأمل ساحة القتال لساعات، أنظر لملامحك، للسواد المحيط بعيونك، أنك تبدو كالأموات، بالكاد تخرج من غرفتك وتتفاعل مع أي شخص سوى أختيك وبيلا، بالكاد تأكل، بالكاد تحضر الاجتماعات التي أخبرك بأهميتها، بالكاد تحضر الحفلات التي تتسبب في رفع حالتك الاجتماعية، بالكاد تقابل عامة الشعب كي تصير محبوبًا، كلا أنت فقط لا تنفك عن النظر عبر تلك النافذة اللعينة أليس كذلك؟"

بدا "فين" منزعجا من تلك المحادثة، لكنه كالمعتاد حاول إخفاء ذلك بالصمت وإشاحة نظره بعيدا، زاد ذلك من غضب دورسيرا وزاد من حدة صوتها، فما يفعله الآن ليس سوى الهرب، وقفت دورسيرا لتقف بمواجهة "فين":

"حين يخاطبك الناس، فلا تشِح بنظرك أبدا، لا ترمش، بل تنظر لعيونهم بقوة، بثبات حتى يشعروا أنك ستخترق أرواحهم، وأنك تستطيع سحقهم بنظرة عيونك فحسب"

نظر لها "فين" بعيون حائرة، هو لم يتوقع ذلك، لكن عليه أن يتعلم، عليه أن يصير أقوى، أذكى، لكن عليه قبل كل ذلك أن يطيعها؛ فهي تدري ما هو أفضل له ولأختيه.

"لكن حين أخاطبك أنا، فلا تشِح بنظرك لأني أمرتك بذلك!"

بدت تعابير "فين" محايدة الآن، لا امتعاض، لا حيرة، نظرته المعهودة فحسب، جلست دورسيرا خلف مكتبها مجددا مكملة حديثها بلا مبالاة:

"اجمع شتات نفسك وعش كالأفراد الطبيعيين، تفكيرك أنك عاجز هو ما سيجعلك عاجزًا، قم بذلك بنفسك أو سأجبرك على القيام بذلك، يمكنك الانصراف الآن"

حسبت دورسيرا أنه سيرحل على الفور، لكنه ظل ما يقارب الدقيقة حتى ترك المقعد الذي كان يجلس أعلاه، متجها صوب الباب، فتحه ببطء لكنه توقف مردفا بصوت خزي:

"أنا بالفعل شخص عاجز."

تنهدت دورسيرا، متى سيتوقف عن التفكير بتلك السلبية، يستطيع تخطي ما هو بصدده إذا توقف عن التفكير بتلك الطريقة:

""فين"، فقدانك للقابلية على السير دون عكاز وما ترتب على ذلك، ليست بنهاية العالم ليست بنهايتك، أنت فتى ذكي، أحقا يجدر بي إخبارك ذلك؟!"

"كلا يا والدتي أنا عاجز، أنا عاجز عن مساعدة والدي، لم أستطع سوى مراقبته فحسب وهو يموت ببطء، أنا عاجز عن مساعدة أختي، حين رأيت جميعهم ينظرون لها كما لو كانت وحشًا وهي تنظر لي بعيون دامعة، بعيون تتوسل المساعدة"

شعرت دورسيرا بذلك الثقل يغرق قلبها مجددًا، اعتادت عليه لكن ذلك لم يخفف وطأة ألمه، أدركت أنه مقيم لا يغادرها، بل يكمل غزوه لباقي أنحائها حتى يستحوذ عليها تماما.

"إني عاجز يا والدتي، فحتى في أحلامي لا أستطيع إنقاذها وأراها تركض تجاهي طالبة عوني، أريد حينها أن أفعل كل ما بوسعي لمعاونتها، أن أقدم كل ما أملك، لكن ماذا أملك يا والدتي؟! ماذا أملك سوى عصاي تلك؟! وماذا يمكنني أن أفعل بها أمام شعبين ومرايا ولعنة منذ مئات السنين؟! ولا يمكنني حتى إخبارها بذلك، أقف مشلولا متجهم الملامح فحسب، وحينها تسألني بصدمة "فين"، أحقا ستتركني؟!""

وضع "فين" كفه على جبهته مغلقا عينيه، شعرت دورسيرا بالثقل يزداد، يزداد أكثر من أي حين آخر، كل ما تريده هو السعادة والأمن لأطفالها، لكنها يبدو أنها دون عمد تجرحهم بشدة، "كيرا"، ثنسيا والآن "فين"، ظنت طوال

ذلك الوقت أنه كان يحدق لتلك الساحة ليلا ونهارا فحسب، لم تظن لوهلة أنه يبدو مجهد الملامح من فرط الشعور بالذنب، ذنب تفاقم حتى تحول لكوابيس متواصلة على الرغم من أنه لم يتسبب بأي من هذا.

""فين"، هذا ليس خطؤك"

حاولت دورسيرا تهوين الأمر، أزاح "فين" كفه من على جبهته وفتح عيونه ناظرا لوالدته:

"ليس كذلك؟! أمنيتي الوحيدة كانت عدم المغادرة، والآن أتمنى أن تنعكس الأدوار، أنتِ محقة تماما يا والدتي، أنا أضيع حياتي، أنا أهرب فحسب، وظني أني عاجز هو ما سيجعلني عاجز."

"فين" بطبعه عنيد، لكنه فتى ذكي، ربما أدرك أخيرا ما أرادته دوما أن يدركه، وهذا رسم البسمة قليلا على شفتيها، خاصة بعد ذلك الثقل الذي جثا على قلبها طويلا، أكمل "فين":

"لذلك قررت فعل ما خشيته للغاية، أنا سأرحل يا والدتي!"

ظنت أنه رحل، لكنه عاد بعد بضعة ثوانٍ فحسب ليخرق قلبها تماما، سحقا لذلك الثقل، دهشت دورسيرا وعكس ما تحاول فعله دوما بدت مشاعرها جلية على وجهها:

"عمَّ تتحدث؟!"

"خالي ميستريو سينطلق للمملكة الشرقية بعد يومين، وعرض عليَّ الذهاب برفقته"

صمت "فين" لوهلة ثم أكمل بحدة: "وقد وافقت"

شعرت دورسيرا بصدرها يلتهب وبعقلها يتحطم، حتى لم تعد ترى أمامها وانتابها الدوار كما لو أن شخصا رمى على رأسها صخرة هشمتها تماما، كيف له أن يفكر بذلك؟! كيف له أن يفكر بتركها؟! وقفت دورسيرا محاولة تمالك نفسها وعدم إظهار الرعب الذي أصابها للتو، كلا، لن تسمح له بالذهاب:

"وافقتَ دون إذني؟!"

"أجل!"

قالها "فين" وهو ينظر لها بعينين ثابتتين.

لن تذهب يا "فين"، حتى وإن أجبرتك على ذلك"

أردفت دورسيرا بحدة، تحدث "فين" بنبرته نفسها ونظرته السابقة:

"معذرة يا والدتي، يجدر بي الانصراف"

ثم انصرف إثر ذلك، شعرت دورسيرا بالغضب يجتاحها كالبركان الثائر، أخذت تتجول بخطوات متسارعة في الغرفة، لن يرحل لن تسمح بذلك مطلقا، ألا تكفي مشكلة ابنتها؟! ذلك العنيد الأرعن، أسيئول به الأمر ليصير كدومين الأحمق؟! كلا، كلا، لن تدعه يفعل ذلك، لن تدعه يعرض نفسه للخطر فقط لأنه أحمق غير واعٍ! يخبرها منذ لحظات أنه لن يهرب وهذا هو ما يفعله الآن تماما! كل ما يتحكم بمشاعره الآن هو العناد، شعرت بدمائها تغلي وبرأسها يكاد ينفجر، لم تدرِ لماذا خطرت أسماء مألوفة ببالها، بعضها لعنتهم وبعضها الآخر اشتاقت لهم، شعرت أنها وحيدة لا تستطيع الثقة بأي شخص، تحاوطها الأفاعي من كل

صوب، وتقع على عاتقها مسئولية كبيرة تزداد كل يوم فحسب، لكنها لن تجزع ولن تهمد وستبقى قوية، ستبقى صامدة، ولن تسمح له أن يكون ذلك الفتى الأبله مطلقا، لا يهمها ما يشعر به ابنها، لا يهمها ما يراه، ما يهمها هو أنها ستحافظ عليه هو وأختيه حتى إن تسببت قرارتها بمقتهم لها طوال حياتهم لكنها ستحميهم، لأنهم أعز ما تملك، لن تدعهم لخياراتهم البلهاء. اغمضت دورسيرا عينيها وحاولت ضبط أنفاسها، قررت التوجه لغرفة الاجتماعات مبكرا محاولة تناسي الغضب الجامح برأسها، فتحت عينيها ثم سارت بخطوات ثابتة خارجة من غرفتها، سارت عبر القصر ببال مشغول لم تنتبه حقا لما مرت به أو بمن ألقى التحية عليها، أخذت تفكر ب"كيرا"، لكم تمنت أن تحتضنها وتستمع لصوتها وهي تقول 'والدتي'، توقفت دورسيرا أمام باب الغرفة حيث كان يقف حارس انحنى لها محييا، ثم فتح الباب دون أيَّة كلمة.

دخلت دورسيرا لتجد الغرفة لا يوجد بها أحد ، تلك الغرفة الواسعة ذات جدران بلون يشبه السكر والأرضية المعتمة بُنية اللون، يقع مباشرة بجوار الباب المزخرف بزخارف لولبية الشكل تمثالان كبيران على هيئة رجل وامرأة يرتديان ملابس ملكية وتاجين، ويرفع كل منهما إحدى يديه ممسكا بيد الآخر، بينما يد الآخر تبقى ساكنة خلفهما، يُفترض أنهما يمثلان القائد والموحد (كوراخى) وبانية الحضارة (ثنسيا) التي سُميت الصغيرة ثنسيا باسمها تيمنا بها، يعلو التمثالين علمٌ مثلث الشكل يحتوي على شعار كل من الشعبين قديما لكنهما متداخلان سويا، شعار الشعب الأحمر يمثل أرضا تشبه الوادي توضح أنهم الحاكمين الأوائل

للأرض من بعد إخوة الظل، يتدرج منها لأسفل خمسة خطوط تبدو كالجذور ينتهي كل منها برمز: أولهم ينتهي بورقة شجر، للدلالة على أن احتواء أراضي مملكتهم على الأشجار والحياة بصورة أكبر، نظرا لسيادة آبار الحياة بذلك الجزء من القارة، والثاني بما يشبه السيف ليبدي كمَّ قوتهم وتفوقهم في مجال الحروب، الرابع بجوهرة ما خضراء اللون، يبدو أن من وضعها كانوا إخوة الظل حينما كانوا حلفاء للشعب الأحمر، ولسبب ما على الرغم من كل ما حدث لم تتم إزالتها، والخامس بزهرة زرقاء، وقيل أن ذلك تم إضافته بعد التحالف مع شبه جزيرة لونا، بينما الثالث وهو أوسطهم وأكثرهم طولا ينتهي بعين حمراء اللون.

شعار الشعب الأصفر كان أكثر بساطة، حيث يتكون من خيط طويل متعرج، ليدل على الطبيعة الجبلية لجزء الأرض الشرقي الذي استقروا به، ويستمر ذلك الخيط مرتفعا لأعلى حتى يكون ما يشبه قمة الجبل، حيث توجد عين صفراء، تم دمج الشعارين فصار الخط المتعرج والخط المشابه للوادي متقاطعين، يوجد على مقربة من امتداد ذلك الركن للداخل منضدة كبيرة مزخرفة يحيط بها ثمانية مقاعد، أحدهم أضخم وأفخم من الآخرين، ويكون للملك فحسب، ويوجد على كل من جانبيها عمودان مزخرفان بزخارف الباب اللولبية نفسها، أطول منها قليلا، ينتهيان بوعاءين واسعين من المعدن، يتم إشعال النار بهما حين يحل الظلام، مقارب لتلك المنضدة خزانة يتم وضع الحبر والأوراق، وما قد يتم احتياجه بها، وخلف المنضدة والكراسي بالجهة نفسها التي يوجد بها التمثالان، توجد ثلاثة نوافذ زجاجية محكمة الغلق بطبقات متوسطة السُمك من الزجاج

تبدو كالمربعات الصغيرة مصنوعة من الخشب، على الجانبين نافذتين متوسطتي الحجم، بينما الوسطى ضخمة الحجم ينسلُّ من فوقهم ستائر مزركشة مشابهة لأغلب الموجودة بالقصر، على الجانب الآخر من الغرفة بضعة سلالم تقوم لمنضدة أكبر من الأخرى بكثير، توجد أعلاها لوحة تمثل خريطة مجسمة لقارة أثرا بأكملها وما يحاوطها، عاهدت دورسيرا تلك الغرفة للغاية، حتى حفظت أدق تفاصيلها، لم تظن أنها أمضت حتى بغرفتها كم الوقت الذي أمضته بغرفة الاجتماعات تلك، فقد كان يحرص والدها على أن تحضر جميع الاجتماعات منذ صغرها، توجهت لمقعد مجاور للمقعد المخصص للملك، تفحصت مقعد الملك بعينها مفكرة بداخلها أن دومين حينما يأتي فحتما سيجلس أعلى ذلك المقعد على الرغم من أن والدهم مازال حيًّا يُرزق، إنه لا يستحقه فهو أبله ومتسرع، لكنه مازال أخاها، أنهت دورسيرا سيل أفكارها بجلوسها أعلى المقعد المجاور لمقعد الملك، طبقت دورسيرا يديها سويا واضعة إياهما أعلى المنضدة، لم تمر سوى بضعة ثوانٍ وكانت قد شعرت بالضجر بالفعل، فجأة فُتح الباب سريعا ودخل كل من ميستريو و"نايلس" ثم جلسا على مقعدين مواجهين للمقعد الذي جلست دورسيرا، شعرت دورسيرا بدمائها تفور مجددا لرؤية ميستريو فحسب وتذكرها بالعرض الذى قدمها لابنها:

"أختي العزيزة أرى أنك أتيت باكرا، يبدو أن حديث والدنا لم يطل"

أردف ميستريو بابتسامة خفيفة، نظرت له بمقت:

"كلا، لكني أنا وأنت سنتحدث حديثا سيطول بلا شك، ولا أظنك ستسعد بما سيعقبه"

"سيسعدني هذا كثيرا يا أختي العزيزة"

يا له من وغد بارد الدماء! حاولت دورسيرا تناسي غضبها لوهلة، فُتح الباب مجددا حينها ثم دخل دومين وجلس على مقعد الملك كما توقعت تماما:

"حسنا فلنبدأ"

أردف دومين سريعا ثم أكمل:

"كما تعلمون فقد قررت أن نجتمع اليوم لمناقشة القرار النهائي بخصوص فاجعة "كيرا""

سحقا له وسحقا لهم، يعتقدون أنهم لهم الحق في تحديد مصير ابنتها، فكرت دورسيرا، لكن عليها مجاراتهم حاليا فلا تملك خيار آخر.

"حسبما وصل لي من أنباء، فقد عمت كثيرٌ من الفوضى إثر هوية "كيرا" الجديدة، يطالب كثيرٌ من النبلاء وممثلي الشعب بنفيها أو.."

"أو ماذا؟!"

كان صوت دورسيرا يشبه النيران المشتعلة، تردد دومين عن الإجابة بعض الشيء، أكملت دورسيرا:

"أخبرني يا أخي، يا من ليس لديه أيَّة مشكلة بوضع ابنتي حبيسة في حصن، والآن لا يمانع بنفيها أو حتى قتلها، أليس كذلك؟!"

بدت دورسيرا ثابتة على الرغم من كم الألم والكره اللذان يجتاحان كيانها الآن، فلن تكذب على الرغم من علمها بطبيعة دومين وتوقعها لما قاله منذ ثوان، إلا إنها تمنت أن تكون مخطئة على الرغم من ثقتها بكونها غير مخطئة، لكن جزء بداخلها أراد، لكن لا يهم، ففي النهاية كانت محقة؛ لا تستطيع الثقة أبدا بهؤلاء الملقبين بإخوتها، ليس منذ ما حدث لأخيها رانل وما تشهده منذ ذلك الحين.

"دورسيرا، لا تخاطبيني بتلك الطريقة لن أسمح لك، لا يهمني أي أوهام تسود عقلك، أنا لن أفكر أبدا بفعل ذلك ل"كيرا"، إنها كابنتي"

صاح دومين، نظرت دورسيرا لعينيه دون أن ترمش، لتشعر ببعض التزعزع والتردد بهما، إن عيونه غير صادقة.

"يمكننا إعادة النظر بشأن وادي الأسود، فقد كان الحل الوحيد من قبل لُمحْيي الروح الهجينة، إذا أعطيت الأمر فقط يا دومين."

"فلتصمت يا "نايلس"، هذا أكثر الآراء غباء، عن أي وادٍ تتحدث؟! عن وادٍ يقال إنه بطريقة ما كان قادرا على تحويل روح شخص هجين لشخص عادي ينتمي للشعب الأصفر لأنه ترجى قادة الشعبان القدامى الذين تحولوا لأسود أن ينقذوه؟! أتريدنا حقا أن نلجأ لأمور السحر والشعوذة تلك، ألا يكفي ما تسبب به السحر بالفعل؟! كلا يا أخي؛ السحر محرم تماما، وسيظل كذلك طالما أنا على قيد الحياة"

"هذا بالإضافة إلى أن كل الحملات التي عملت على استكشاف وادي الأسود سابقا باءت بالفشل، لم يجدوا سوى أنقاض أو آثار مهشمة، بالإضافة

لتواجد غير طبيعي للأسود البرية بذاك المكان، من الأسهل تجنبه فحسب فلا فائدة تُرجى منه"

أعقب ميستريو مؤكدا كلام دومين، طأطأ "نايلس" وجهه بسبب الحرج

"ماذا بخصوص المسوسين؟! ألم يقولوا أن "كيرا" تنتمي للمملكة الغربية حسب صفاتها الحالية؟!"

كان ذلك أول سؤال حقيقي تطرحه دورسيرا، فهي لم تهتم حقا بوادي الأسود، وظنت أنها بالفعل فكرة حمقاء، أملها الوحيد كان أما بالمسوسين أو بما قد تسفر عنه تلك الرحلة السرية لأنقاض مقر الحالمين التي سمحت بها دون علم أحد.

"لقد دارت مزيدٌ من المناقشات بين المسوسين لتحديد مصير المهجنين، فكما تعلمون إخوتي، فليس لدينا كثيرٌ من المعرفة بخصوصهم"

قال ميستريو بجدية

"إلام توصلوا؟!"

تساءل دومين لكن ميستريو لم يجب على الفور مما جعل دومين يتحدث مجددا:

"أرى أنها لم تكن إجابة مبشرة، مقاربة لما اقترحه النبلاء وممثلو الشعب على ما يبدو"

"إلام توصلوا يا ميستريو؟!" تساءلت دورسيرا بغضب

"توصلوا إلى أنهم غير واثقين من معلومتهم السابقة بخصوص انتماء "كيرا" للمملكة الغربية؛ فلا قواعد فعلية تصلهم بخصوص المكان الذي

يُفترض أن يمكث به الهجين، لذا فخطر تواجدها بالمملكتين أو العاصمة الأم يعادل خطر نفيها؛ في الحالتين قد نكون قد خالفنا قانون المرايا بشكل ما، ولا تنسوا إخوتي الأعزاء ما الذي حل بشعبنا حينما تمت مخالفة قانون المرايا من قبل.."

'المرض الأزرق' هي الإجابة التي خطرت ببال دورسيرا على الفور، أَكَيْ تحمي ابنتها يمكن أن تتسبب في مخالفة قانون المرايا بشكل ما؟ وقد يؤدي ذلك لكارثة أخرى مشابهة للمرض الأزرق، أيعقل؟! تساءلت دورسيرا، عمَّ الصمت بين الإخوة الأربعة قليلا، ساد عقل كل منهم مئات الأفكار، تحدث "نايلس":

"إن رحلت "كيرا" هذا سيكون بالفعل مخالفة لقانون المرايا؛ فقد شبت بهذه الأرض وخضعت لقانون المرايا، هذا يعني أنها لا يمكنها الرحيل حتى تتم الثلاثين، حتى، حتى إن لم نعلم حقا لأي مملكة تنتمي، فصفاتها الحالية تدل على انتمائها للمملكة الغربية بصورة أكبر، وأرى أن مكوثها هناك هو الحل الأمثل"

أجابه دومين:

"ترى أن مكوثها هناك هو الحل الأمثل يا "نايلس"؟! إذن أنت أكبر أحمق رأيته بحياتي!"

بدا الانزعاج جليا على وجه "نايلس"، لكنه لم يرد الإهانة لدومين، بالطبع فهو أضعف من ذلك! أكمل دومين:

"المرايا دوما تعطي قواعد للممسوسين بما يجدر فعله! عدم إعطائها لقواعد بخصوص المهجنين يعني أنهم لا ينتمون لشعبنا، ولا ينتمون لهذه الأرض!"

"ما الذي تقترحه يا أخي؟"

تساءل ميستريو بينما كادت دورسيرا تنفجر، فقد علمت تماما ما سيقوله دومين:

"أنا لا أقترح يا ميستريو، أنا آمر فحسب، وبصفتي خليفة والدنا في الملك، آمر بنفي "كيرا" لشبه جزيرة لونا"

"هل جننت؟! إنها ابنتي!" صاحت دورسيرا.

"أنتِ من جننتِ يا دورسيرا إذا حسبتِ أني سأبقي على شر كهذا على أراضينا! أعلم جيدا أنها ابنتك وأعتبرها كابنتي، لكن المرايا أظهرت أن روحها هجينة! أي أنها تحمل دماء إخوة الظل لكن من نسل شعبنا! أليس طفل كهذا هو من يخبرنا الممسوسين في كل عام لقانون المرايا أنه سيدمر شعبنا؟! أي أنها قد تكون السبيل لهلاكنا جميعا! أتعتقدين أني سأسمح بحدوث ذلك لأنني أعتبرها كابنتي؟! كلا، لقد اتخذت قراري النهائي ولا أريد سماع اعتراض!"

شعرت دورسيرا بذلك الدوار اللعين يصيبها مرة أخرى، شعرت بأنها تكره ذلك المتحدث بشكل لا يوصف، لكنها لن تسمح بحدوث ذلك، لن تسمح أن يتم نفي ابنتها، ولا تهتم لأي مدى ستوصلها أفعالها!

"انتهى هذا الاجتماع!"

أنهى دومين حديثه ثم انصرف، لمحت دورسيرا "نايلس" قبل انصرافه هو الآخر وسطعت فكرة ما بعقلها:

"ها قد انتظرت يا أختي العزيزة، عمَّ تريدين التحدث؟"

تساءل ميستريو.

"يمكنك القيام بأي من ألاعيبك الغبية حيال دومين، "نايلس"، يمكنك الاستمرار بسخافاتك التي لا تنتهي، لا يهمني حقا لكن إياك وإدخال أبنائي بسخافاتك وألاعيبك تلك، حينها لن يجديك نفعا دومين أو "نايلس" أو حتى والدنا مما سيحل بك"

"لن أسألك وما هذا الذي سيحل بي لأني أدرك أنك لا تملكين سوى الكلمات، لا أريد إحراجك"

أهذا حقا ما يظنه، كم أن غروره يعميه؛ فلا يوجد أسهل من تلقينه درسا لا بأس به، بداية من جعله غير واصٍ على المملكة الشرقية لا يردعها عنه سوى أنه مازال أخيها في النهاية، الذي تكن له بعض الذكريات السعيدة منذ زمن مضى، أكمل ميستريو قبل أن تسمح لها الفرصة بالرد:

"لكن، أحقا تعتقدين أني سأقوم بإيذاء أحد أطفالك؟!"

ها هو يمارس ألاعيبه مجددا مظهرا نفسه بمظهر البريء الخيِّر.

"لقد علمت جيدا ماهية شعور "فين" تجاهي خاصة بعد ما حدث ل"كيرا"؛ لذا أعطيته ما يريد، خلاصا مني، وبدوت بمظهر الخال الودود الذي يحرره من الأم القاسية، أليس كذلك؟!"

"لم أعطه ما يريد بل أعطيته خيارًا، عكس ما تفعلينه أنتِ تماما، ربما لذلك هو يشعر تجاهك بذلك الشكل"

شعرت دورسيرا بالغضب يجتاحها، ذلك المتعجرف الأحمق يحسب نفسه ذكيًّا للغاية، ليتها لم تحمل أيَّة مودة بقلبها تجاهه لكانت قد سحقته بالفعل.

"لتعلم جيدا أنه لن يرحل برفقتك حتى إن اضطررت لحبسه بغرفة تحت الأرض"

"غريب أنك منذ بضعة دقائق كنت تعترضين على حبس "كيرا" في حصن كالسجينة، لكن لا مانع لديك بفعل ذلك ل"فين" كي لا يرحل، يبدو أنك لا مانع لديك ببقاء أبنائك أحرارًا طالما هم تحت طوعك"

"هذا ما تخبره به، أليس كذلك؟!"

بالطبع هذا ما يخبره ل"فين"، لكنه أحمق، و"فين" أحمق، يحسب أنه يدري المخاطر المحيطة به وبإخوته، يحسب أنه يدري نوايا هؤلاء المتظاهرين بالعطف والود.

"هذا ما يراه" هز ميستريو رأسه باستنكار ثم أكمل:

"أحقا تحسبين أني أفعل ذلك لأني أريد أن أؤذيه أو أستخدمه ضدك بصورة ما؟! "فين" يرى أنه لا قيمة له، أنه عاجز عن القيام بأي شيء، ماذا يفعل بحياته سوى التفكير بكل ما مضى حتى قبيل ما حدث ل"كيرا"، ما حدث لها لم يكن سوى مزيدٍ من العتمة في طريق مظلم بالفعل يسير به منذ تلك الإصابة، ليس من السهل الشعور بفقدان ما شكل جزءًا كبيرًا من شخصيتك وأحلامك، بل كلها، ما أردته هو إخراجه من تلك الحياة، من تلك الغرفة، وإخراجه لعالم أكبر حيث يمكنه اكتشاف ذاته مجددا"

كانت نبرة ميستريو معاتبة، شعرت دورسيرا ببعض الحزن على الرغم من غضبها وتحدثت:

"أتعتقد أنني لا أحاول فعل ذلك؟! لكنه لا يستجيب لي مطلقا، أتدري لماذا لأنه أحمق مثلك تماما، تعتقد أنك لمعرفتك بشعور "فين" وتظاهرك بالتعاطف سأصدق أيّة كلمة تخرج من فمك"

تنهد ميستريو مردفا: "لم أدر أبدا لمَ صرنا بهذا الشكل، أهذا لأننا عشنا بأماكن مختلفة لما يقارب الخمسة عشر عاما؟! لا أردي، ما أدريه فحسب أننا كنا دائمي الضحك من قبل، خاصة حينما كنا نصعد جبل المرايا جميعا برفقة رانل"

تغيرت معالم دورسيرا للحيرة، أهو يصدق الآن؟! أرادت تصديق ذلك خاصة لأن تذكرها لتلك الذكريات أشعرها بالسعادة الممزوجة بالألم، لكن بمجرد وصولها لذكرى رانل بوجه باهت غير ناطق، ووجه ميستريو غير المصدوم تلك الظهرية، زالت كل وجوههما الأخرى الضاحكة والذكريات الأخرى السعيدة، ورسخت جملة واحدة بعقلها 'إنه كاذب، لا يمكنها الوثوق به'، نظر لها ميستريو ليجد نظرة على وجهها تؤكد تماما ما تشعر به، أومأ ميستريو لإدراكه ذلك قائلا:

"لكن إذا كنتِ مصرة على رؤيتي بذلك الشكل، فليكن كذلك"

وقف ميستريو وظل بتلك الحال لبضع ثوانٍ كما لو كان يفكر بشيء ما ثم أردف:

"إجبار "فين" على البقاء لن يبقيه"

صار وجهه خاليا من أي تعبير مكملا:

"يظن أنه يريد الرحيل لأنه خذل أخته، لكن مازال لديه أخت أخرى، ربما تلك سيحاول ألا يخذلها إن حرصتِ على ذلك"

لم يتم ميستريو جملته حتى كان بالفعل قد سار مبتعدا ليخرج من الغرفة مغلقا خلفه الحارس الباب، فكرت دورسيرا فيما قاله، على الرغم من كرهها لأن تعترف بذلك إلا أن كلامه منطقي، لكن لماذا يريد مساعدتها على الرغم من أنه هو من أراد رحيل "فين" برفقته؟! ما الذي يخطط له؟!

*****

"أمي هل تظنين أن ما أحضرته سيكفي؟!"

تساءلت ثنسيا بقلق، أومأت دورسيرا لابنتها، كانتا تقفان على أعقاب غرفة "فين".

"عزيزتي أتتذكرين ما اتفقنا عليه؟!"

فكرت ثنسيا قليلا ثم أومأت بابتسامة واسعة.

"أحسنتِ"

قالتها دورسيرا ممررة أناملها في خصلات شعر ابنتها:

"الآن ستنتظرين هنا حتى أمر لك بالدخول"

"هل سأنتظر طويلا؟! أريد أن أرى "فين""

دخلت دورسيرا الغرفة متجاهلة الإجابة عن سؤال ابنتها، ثم أغلقت الباب خلفها لترى "فين" يجلس في مكانه الدائم أمام الشرفة متأملا ما خلفها،

ظلت دورسيرا واقفة مكانها متأملة إياه، ليته يتفهم موقفها، ليته يتفهم مقدار حبها له، أرادت احتضانه وإخباره أنها لا تريد شيئا في الحياة سوى احتضانه هو وإخوته للأبد، لكن عوضا عن ذلك تساءلت بلهجتها الحادة:

"ألستَ مغادرا؟! لمَ لا ترتب أغراضك أم أنك كسول حتى عن فعل ذلك؟!"

أدار "فين" وجهه لوالدته مبتسما ثم استند لعكازه متجها لها.

سأشتاق لكِ يا والدتي وسأشتاق لأوامرك تلك"

بدت ابتسامته وعيونه صادقة، على الرغم من تأثير ما قاله على قلبها إلا أنها اشتعلت غيظا، فإذا كان بالفعل يكترث لأمرها فلماذا يرحل تاركا إياها؟!

"وأنا لن أشتاق لك، فلتذهب للجحيم إن أردت، طالما تلك هي رغبتك"

حافظت دورسيرا على ملامحها جامدة، بينما زالت الابتسامة من على وجه "فين"، وحلت محلها الصدمة لكنه حاول أن يبدو عاديا وأومأ لها:

"ثنسيا، ادخلي"

صاحت دورسيرا، بدا الارتباك على ملامح "فين"، دخلت الصغيرة ثنسيا حاملة صندوقا متوسط الحجم مزخرف بهي المظهر:

""فين"، أخي، أنظر ماذا أحضرت لك!"

بدا أن الصندوق ثقيلًا بعض الشيء على ثنسيا لذا سار "فين" بعكازه نحوها:

"لماذا لم تطلبي من أحد الخدم أن يحمله؟!"

"كي لا يفشي أحدهم المفاجأة لك يا "فين""

قالت ثنسيا بحماس وهي تضع الصندوق أرضا، ثم فتحته سريعا مخرجة منه عديدًا من الرسومات والدمى.

"انظر، لقد أحضرت لكِ أفضل ألعابي ورسوماتي، إنني أحبهم كثيرا لكنهم ملكك الآن؛ فأنا أريدك أن تصير سعيدا فحسب"

ابتسم "فين" من براءة أخته:

"أشكركِ ثنسيا ولكن لا بأس، يمكنك استرجاعهم، فأنا لا ألعب بالدمى كما أن تلك الرسومات ستبدو أفضل بغرفتك"

توترت ملامح ثنسيا وبدا عليها الحزن:

"هل لا يعجبوك؟! لدي غيرهم يمكنني إحضارهم، أو يمكنني طلب غيرهم أفضل من والدتي أو من المربية، لكن لا ترحل يا "فين" أرجوك.."

"لن أرحل للأبد يا ثنسيا"

"أخبروني ذلك حين رحلت "كيرا"، والآن حين أسأل متى سأراها لا يجيبني أحد، أستصير أنت كذلك يا "فين"؟!"

زاد توتر "فين":

"يجدر بي القيام ببعض الأشياء يا ثنسيا، لكن سأراك قبيل المغادرة بقليل"

سار "فين" متجها لخارج الغرفة، ها هو يهرب مجددا، فكرت دورسيرا وهي تراقب الموقف بأكمله، نادته ثنسيا بصوت باكٍ:

""فين"، لا تتركني"

توقف "فين" متخشبا للحظة كأنه تذكر شيئًا ما، ظل بتلك الحالة بضعة ثوانٍ، ثم استدار متجها نحو ثنسيا واحتضنها:

"لن أتركك أبدا يا ثنسيا"

*****